المقصد فى علم الكلام

بســــم الله الرحمن الرحيم[1]

الحمـد لله الواحـد الـذى لا شـريك لـه ولا نظيـر. العـالم القـادر المريد الحىّ السميع البصير المتكلم الخالق الرزّاق الحكم العدل الذى لا وزير له ولا مُشيِرَ. والصلاة والسلام الأتِمّان الأكملان علـى سيدنا محمـد النبـي الأمّـي البـشير النـذير وعلـى آلـه واصـحابه الطيبيـن الطاهرين الآمرين بالمعروف والناهين عن ترك المنكر.[2]

أمّا بعد؛ فقد سألني من لا يسعنى مخالفته بل يجب عليّ موافقتـه أن أكتبَ مختصراً فى علم الكلام يحتوى على حلّ ما هو المقصود بالعلم اوّلا فى دين الاسلام. فأجبت إلى طلبته بعد إتكالي إلى حول الله وقوتـه والفتُ مختـصراً قد يشتمل[3] علـى مقدمـة ومقصديْن وخاتمـة وسمّيته 'المقصد'. وسألتُ الله تعالى ان ينفع به وبغيره[4] من علـوم الدين. إنه أرحم الراحمين.

المقدمة

أصـول الـدّين، 'علـم يُبحـث فيـه عـن ذات الله تعـالى[5] وصـفاته واحـوال الممكنـات فـى المبـدإ والمعـاد علـى قـانون أهـل الإسـلام.' وموضـوعه ذات الله وذوات الممكنـات مـن حيـث احتياجهـا إلـى الله تعالى والغرض من معرفته معرفة الله بقدَر الإمكان.

---

[1] ا: + وما توفيقى الا بالله.

[2] ا، ب: التكير وفى هامش نسخة ب: المنكر.

[3] ا: اشتمل.

[4] ا: - بغيره.

[5] ا: - تعالى.

المقصد الاول فى الإلهيات

وفيه مباحث: **الأول** في بيان وجوب وجوده: كل متصور إما واجب او ممتنع او ممكن.[6] لأنه إن استحال زواله[7] فهو الواجب وإن استحال وجوده فهو الممتنع وإن[8] لم يستحل احدهما فهو الممكن. لأنّ المتصور[9] ما هو موجود فليس بممتنع ضرورةً فإن كان واجباً فهو المطلوب وإن كان ممكناً فترجيح[10] وجوده[11] على عدمه بعد استوائهما لا يكون لذاته والا لكان واجبا فيكون بغيره وذلك إما واجب او ممكن. فإن كان ممكناً عاد الكلام جُذعا وتَسَلسَلَ. فتَعيَّن ان يكون واجبا فهو أوّل بلا إبتداء فيكون قديماً وهو الحقّ تعالى وتقدَّس.

تنبيه: هل يمكن معرفة حقيقته تعالى على ما هو عليه او لا؟ جوَّزه المتكلمون ونفاه الحكماء. وشُبهتهم فى ذلك أنّ معرفة حقيقة الشيئ من حيث هى لا تكون الا بالذاتيات من الجنس والفصل القريبين. وذلك لإستلزامه التركيب المستحيل على الله محال. وإنّما كان التركيب مستحيلا لأنّ جزء المركّب مقدَّم على كله فيكون قبل وجوده موجود.[12] فلا يكون قديماً وقد فرضناه قديماً هذا خلف باطل. وأجيبوا بأنّ انحصار طرق المعرفة في ما ذكرتم ممنوع. لمَ لا يجوز أن يعرف بإلهام الله او بتصفية الباطن او بالكشف.

الثاني فى صفاته تعالى: اختلف العقلاء فى ثبوت صفة[13] زائدة على ذاته تعالى. فأثبتها المتكلمون ونفاها غيرهم. قالوا: لو كانت فإما ان يكون قديمة او حادثة. فلا سبيل[14] إلى الثانى لأنها قائمة بذاته تعالى. فكان ذاته محلاً للحوادث و يلزم منه التغيّر وهو على الله محال. ولا إلى الأول لأنه يلزم منه تعدد القدماء وهو ايضا باطل.

---

6 ا: إما واجب او ممكن او ممتنع.

7 ا: عدمه.

8 ب: وإنه.

9 ا: ومن المتصور.

10 ا: فترجح.

11 وجوده: فى الهامش.

12 ب: موجوداً.

13 صفة: فى الهامش.

14 ا: ولا سبيل.

وأجيبوا: بأنّ تعدد القدماء إذا كانوا ذوات ممتنع. وأمّا إذا كانت للقديم الواحد صفات قائمة بذاته أزلا و ابداً فلا نسلم امتناعه. فإن قيل: القول بالقدماء كفر سواء كان فى الذوات او فى الصفات. الآ يُرى أنّ الله تعالى كفّر النصارى بإثباتهم الأقانيم الثلاثة التى هى الوجود والعلم والحياة. فالجواب: أنّ النصارى وإن سمّوا ما اثبتوه من الأقانيم بالصفات لكنهم قالوا: بكونها ذواتٍ فى الحقيقة لأنهم قالوا: بإنتقال أقنوم الكلمة[15] أعنى العلم إلى بدن عيسى عليه السلام. والمستقل بالإنتقال هو الذات.

تفصيل: جملة ما أثبته المتكلمون من الصفات سبع. وزاد علمائنا الحنفية رحمهم الله[16] التكوين.

الاولى القدرة: ذهب الملّيون إلى أنّ تأثير الله تعالى فى وجود العالم وهو ما سواه بالقدرة على معنىً أنه يصحّ منه إيجاده وتركه. وذهب[17] الحكماء إلى أنّ تأثيره فيه بالإيجاب على معنىً أنّ العالم لازم لذاته كتأثير الشمس بالإضائة لنا. إنه بين وجود العالم بعد عدمه وبين كونه تعالى[18] موجبا بالذات منافاة. لانه لو كان موجبا بالذات كان العالم قديماً لانه حينئذ[19] لا يخلو إما أن لا يتوقف وجوده عنه تعالى على شرط او يتوقف على شرط قديم او يتوقف على شرط حادث. وعلى التقدير الأول والثانى يلزم قدمه والاّ لزم تخلُّف المعلول عن العلة وهو محال. وعلى التقدير الثالث يلزم أن لا يكون العالم عالما بل بعضه وهو باطل. و أحد المتنافيين وهو وجود العالمَ بعد عدمه ثابت فينتفى الآخر وعارضوا: بأنّ المؤثر لو كان قادراً[20] كان الفعل والترك مقدورينْ لأن القادر هو المتمكن منهما لكن الترك غير مقدور لأنه عدم والعدم نفي محض و النفي المحض غير مقدور.[21] وأجيبوا: بأن القادر هو الذات يصح منه أن يفعل وأن لا يفعل لا أن يفعل الترك وإذا كان قادراً عمّت قدرته كلّ الممكنات لأنّ علة

[15] الكلمة: فى الهامش.
[16] ا: - رحمهم الله.
[17] ا: ذهبت.
[18] ا: - تعالى.
[19] ا: - حينئذ.
[20] ا: + قديما.
[21] ا: - لأنه عدم والعدم نفي محض والنفي المحض غير مقدور.

المقدورية الإمكان وهو مشترك بين جميع[22] الممكنات فيكون جميع الممكنات مقدورا[23] له تعالى وتقدس.

الثانية العلم: أجمع جمهور العقلاء على أنّ الله تعالى عالم واستدلوا بأنّه مُبدأ لجميع الموجودات لإستناده إليه تعالى إما بلا وَسَطٍ او بوَسَطٍ[24] والله تعالى عالم بذاته لأنّ العلم عبارة عن خضور المدْرَك عند المجرد والله تعالى لا يغيب عن ذاته فيكون عالما بذاته والعلم بالمبدإ يستدعى العلم بما صدر منه فيلزم ان يكون عالما بجميع الموجودات على ما هى عليه.

الثالثة الحياة: وأجمعوا على أنه حيّ لكنهم اختلفوا فى تفسير الحيوة قالت الفلاسفة وأبو الحسين البصري[25] من المعتزلة: هى عدم امتناع العلم والقدرة. وقال أهل السنة وباقى المعتزلة: هى صفة يصحّ لأجلها على الذات أن يعلم ويقدر. واستدلوا على كونه تعالى حيّا بأنّ الحياة صفة كمال ونقيضها نقص. وذات الله تعالى منزّه عن النقائص وإن ملزومات الحياة من العلم والقدرة والحكمة ثابتة لله تعالى. فتحقُّق الملزوم يستلزم تحقُّقَ اللازم[26] لأنه عالم قادر[27] لما مرّ. وكل قادرٍ عالم حيّ بالضرورة وحيوته صفة لأجلها يصحّ أن يعلم ويقدر. ليس المراد بها القوةَ التى تَتبَعُ الاعتدالَ النوعيَّ ويفيض عنها سائر قوى الحيوانية لأنها على الله محال.

الرابعة الارادة: وأجمعوا على أنّه تعالى مريد واختلفوا فى معناها فقال أصحابنا: إنها صفة زائدة على العلم توجب تحصيص

---

[22] ا: - جميع.

[23] ب: مقدور.

[24] ا: إما بلا واسطة او بوسط.

[25] ش: أبو الحسين البصري. ب: ابو الحسن البصري. محمد بن على بن الطيب البصري المعتزلي (أبو الحسين). متكلم، أصولي. توفي سنة 436 هـ/1044 م. كحّالة، عمر رضى، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، مؤسسة الرسالة، بيروت 1414/1993، 518/3.

[26] ا: - لكنهم اختلفوا فى تفسير الحيوة قالت الفلاسفة وابو الحسين البصري من المعتزلة هى عدم امتناع العلم والقدرة وقال اهل السنة وباقى المعتزلة هى صفة يصحّ لاجلها على الذات ان يعلم ويقدر واستدلوا على كونه تعالى حيا بأنّ الحياة صفة كمال ونقيضها نقص. وذات الله تعالى منزه عن النقائص وان ملزومات الحياة من العلم والقدرة والحكمة ثابتة لله تعالى فتحقُّق الملزوم يستلزم تحقق اللازم.

[27] ا: قادر عالم.

المفعولات على وجه ووقت دون ما عداهما. وقيل: هى كونه غير مغلوب ولا مستكره وأجيب: بأنّ الجماد كذلك وليس له ارادة. وقيل: ارادته بالنسبة إلى أفعاله علمه بها وبالنسبة إلى أفعال غيره أمره بها. وأجيب: بأنّ العلم لا يوجب التحصيص فى وقت دون وقت وحال دون حال لأنّه تابع للمعلوم. والفرق بينها وبين القدرة أنّ القدرة من شأنها التأثير والإيجاد الذى نسبته إلى كل الأوقات على السواء. والإرادة من شأنها الترجيح. والمُوجِد من حيث هو موجد غير المرجِّح من حيث هو مرجِّح. إذ الإيجاد موقوف على الترجيح. والموقوف غير الموقوف عليه. فإن قيل: لمَ لا يجوز أن يكون إمكان وجود كل حادث مخصوصا بوقتٍ معيّن يمتنع حصوله قبله وبعده فلا يحتاج إلى صفة الإرادة. أجيب: بأنّه لو كان كذلك لكان قبل ذلك الوقت ممتنعاً فصار ممكنا والانقلاب محال. فإن قيل: سلّمنا وجودها لكن يجوز أن تكون صفة حادثة في ذات الله تعالى كما قالت الكرامية: أو لا فى محلّ كما قالت المعتزلة. أجيب: بأنّ الاول محال[28] لأنّه يلزم ان يكون ذاته مَحلاً للحوادث. والثانى كذلك لأنّ قيام الصفة لا فى محلٍّ محال.

تكملة: إرادة الله تعالى شاملة للكائنات خيرا وشرا إيمانا وكفرا خلافا للمعتزلة قالوا: لو كان الكفر مرادا لوجب الرضاء به لأن مراده قضاؤه والرضاء بالقضاء واجب لكن لا يجوز الرضاء بالكفر. لأن الرضاء بالكفر كفر. والجواب: أنّا لا نسلم أنّ مراده قضاؤه بل مراده مقضيّته. سلّمناه ولكنّ الرضاء بالكفر من حيث أنّه قضاء الله طاعة فهو من هذه الحَيْثية ليس بكفر.

حكاية: دخلت جماعة من القدرية على أبي حنيفة[29] شاهرين سيوفهم فقالوا: أنت الذى تقول أنّ الله تعالى شاء الكفر من عباده ثمّ يعاقبهم على ذلك. فقال: تحاربون بسيوفكم او تناظرون بعقولكم

---

[28] ا: باطل.

[29] الإمام الأعظم أبو حنيفة نعمان بن ثابت. فقيه، مجتهد، منسس مذهب الحنفية. توفى سنة 150 هـ/765 م. الزركلى، خيرالدين، **الأعلام قاموس تراجيم**، دار العلم للملايين، بيروت 1995، 36/8؛ ابن خلقان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر، **وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان**، حققه: إحسان عباس، دار صادر بيروت، 405/5-415؛ أبو الوفاء، محي الدين أبو محمد عبدالقادر بن محمد بن محمد بن نصرالله بن سالم بن أبى الوفاء القرشي الحنفي، **الجواهر المضية فى طبقات الحنفية**، حققه: عبدالفتاح محمد الحلو، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1413، 49/1-63؛ كحّالة، 32/4.

فقالوا: نناظر بعقولنا. فغمدوا[30] سيوفهم. فقال: أخبروني هل عَلِمَ الله في الأزل ما يوجد من هؤلاء او لا. قالوا: نعم. قال: فإذا علم منهم الكفر فهل شاء أن يحقق علمَه كما علم او شاء أن يَصيِر علمه جهلا. فعرفوا صحة كلامه وبطلان مذهبهم ورجعوا عن ذلك وتابوا. واعترض على أبي حنيفة رحمه الله[31] بأنّ العلم تابع للمعلوم لا موجب له فلا يكون العلم موجبا للكفر. والجواب: أنّ المعترض غالط او مغالط. لأنّا ما جعلنا العلم موجب للمعلوم. وإنما جعلنا العلم بالشيئ على وجه مانعا لتعلق[32] الإرادة على خلاف ذلك الوجه

الخامسة والسادسة السمع والبصر: وأجمعوا على أنه تعالى سميع، بصير وأن ذلك لايكون بآلات جسمانية. فذهب الغزالي[33] إلى أنهما عبارتان عن العلم بالمسموعات والمبصرات. لأنه لو لم يكن كذلك لزم قدم المسموعات والمبصرات. إن كانا قديمين او كان[34] ذاته محلا للحوادث إن كانا حادثين وكلاهما باطل وأجيب: بأنهما صفتان قديمتان تُعِدَّان المتَّصِف بهما لإدراك المسموعات والمبصرات. وإدراكهما تعلقهما بالمسموع والمُبصَر عند وجودهما فلا يلزم قدم المسموع والمبصر من قدم السمع والبصر. ودليلنا على وجودهما[35] أنه تعالى حيّ لما مرّ وعدمهما في الحيّ نقص والمنازع مكابر والنقص على الله تعالى محال.

السابعة الكلام: إجماع الانبياء عليهم السلام تواتَر على أنه تعالى متكلم. ونبوَّتهم لم يتوقف على كلامه فوجب التصديق به. وكلامه ليس من جنس الحروف والاصوات فهو متكلم بكلام واحد أزليّ غير متجزٍّ منافٍ للسكوت والخرس والآفة من الطفولية هو به آمر ناهٍ. وهذه الابارات مخلوقة لأنها أصوات وهي أعراض وسمّيت كلامَ الله لدلالتها عليه. فإن عبّر عنه بالعربية فهو قرآن وإن عبر عنه

---

30 ا: وغمدوا على علم الله.

31 ا: - رحمه الله.

32 ا: عن تعلق.

33 الغزالي، محمد بن محمد بن احمد الطوسي الشافعي. حكيم، متكلم، فقيه، أصولي، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم توفي سنة 505 هـ/ 1111م؛ ابن خلقان، 216/4-219؛ كحالة، 671/3.

34 ا: كون.

35 ب: - فلا يلزم قدم المسموع والمبصر من قدم السمع والبصر ودليلنا على وجودهما.

بالابرية فهو توراة[36] وإن عبر عنه بالسورية فهو انجيل. فاختلفت الابارات لا الكلام. والدليل على ذلك أنّ الخلوّ عن الكلام لو ثبت في الازل تغير عما كان عليه باتصافه به[37] بعد ذلك. وهو من أمارات الحدْث وقد ثبت قدمه. وقالت الحنابلة: حروف القرآن غير مخلوقة لأنّ الدليل دلّ على قدم كلام الله وكلام الله حروف فيكون الدليل دالاً على قدمه. وهو باطل. لأنا لا نسلم أن كلام الله حروف. بل الحروف دلالات عليه وكيف ذلك والحروف تتوالى ويعقب بعضها بعضا وكل ما هو كذلك فهو حادث. فإن قيل: فعلى ما ذكرت لا يكون كلامه مسموعا وقد ثبت أنّ موسى عليه السلام كليم الله لسماعه كلامه. فالجواب: أنه كذلك لاستحالة سماع ما ليس بصوت ولا حرف. نصّ على ذلك عَلَمُ الهدى أبو منصور الماتريدى.[38] وموسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله وخُصّ بكونه كليمَ الله لانه سمع بغير واسطة الكتاب والملك.

وأمّا صفة التكوين: فقد استنبطها الحنفية من قوله تعالي "إنما قولنا لشيئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون."[39] وهو صفة أزلية تتعلق بوجود المقدور وتؤثر فيه. والقدرة تتعلق بصحّة وجوده. والإرادة تتعلق بتحصيصه بوقت دون وقت. فالقدرة والإرادة لا تقضيان وجود المكوَّن ولابد من صفة تقتضي وجوده وهو التكوين.

تتمة: التكوين والإيجاد والخلق والاختراع بمعنيً واحد. والله تعالى خالق أفعال العباد وجميع الحيوانات لا خالق له[40] سواه. وهو مذهب الصحابة والتابعين وعلماء الدين رضى الله عنهم اجمعين. وقالت المعتزلة: هم الموجِدون لأفعالهم الإختيارية وقالت الجبرية: لا اختيار ولا قدرة ولا فعل للعبد أصلا. والصادر عنهم من الأفعال كحركات المرتَعِش والعروق النابضة. ومبني المذهب على أصل واحد. وهو أنّ دخول مقدور واحد تحت قدرة قادرين محال. ثم قالت

---

36 ب: تورية.

37 ا: - به.

38 الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود السمرقندى (أبو منصور). متكلم، أصولي. توفى سنة 333 هـ/944 م بسمرقند. الزركلى، 319/7؛ أبو الوفى، 360/3-361؛ كحالة، 692/3.

39 سورة النحل 39/16.

40 ا: لها.

المعتزلة: قدرة العبد على أفعاله ثابتة ضرورة الأمر بها والنهي عنها. و[41] ذلك للعاجز محال. فانتفى قدرة البارى عنها ضرورة[42]. وقالت الجبرية: لا قدرة للعبد على الاختراع لانّ القدرة عليه تقتضى العلم بكيفيته قبل وقوعه وليس للعبد ذلك فثبت قدرة البارى عليها ضرورة. ولنا أن القول بخلق العباد أفعالهم شرك والشرك منتفٍ كما سنذكره. ودخول مقدور واحد تحت قدرتين[43] إحديهما قدرة الاختراع والآخر قدرة الإكتساب جائز.

تذكير وإرشاد: قد ثبت بالدلائل المتقدمة وجود موجود واجب قديم متصف بصفات قديمة بها يحصل نظام الموجودات الدالة على ذاته فلا بدّ أن يُعلم أنه واحد لا شريك له لأنه لو فرض إثنين كان الممكنات بالنسبة اليها فى المقدورية سواء لما تقدم أن عِلّتها الإمكان وهو مشترك بين جميعها. وذلك يستلزم أن لا يوجد شيئ مّا لأنهما إما أن يؤثرا فيه فيلزم اجتماع علتين مستقلتين على معلول واحد بالشحص وذلك باطل. فلا يوجد شيئ او لا يؤثرا فيه. وقد[44] وجد اثر بلا مُؤَثّر وفيه الترجح بلا مرجِّح وهو باطل. او يأثر احدهما دون الآخر وفيه ذلك. لأن الفرض استواء الممكنات بالنسبة إليهما.

الثالث التنزيهات:[45] لا بدّ أن يكون الموجود الموصوف بالصفات المتقدمة[46] منزّها عن النقائص فلا يكون جسما خلافا للمجسمة. لأن كلّ جسم مركّب وكلّ مركّب حادث. ولا فى جهة خلافا للمشبهة. لأنّه ان كان فيها فإما أن ينقسم فهو جسم وهو باطل او لا ينقسم فهو جزأ لا يتجزئ وهو باطل بالاتفاق. شبهة المجسمة أن البديهة تشهد بأنّ كل موجودين لا بدّ و أن يكون احدهما سارياً فى الآخر كالجوهر والعرض او مباينا عنه[47] فى الجهة كالسماء والأرض. والله تعالى ليس بمَحَلٍّ للعالم ولا حالاً فيه فيكون مباينا عنه فى الجهة. وفى دلالة النقل على ذلك كثيرة. والجواب: أنا لا نسلم

---

[41] ا: فإنّ.

[42] ا: فانتفى عنها قدرة البارى ضرورة.

[43] ا: قادران.

[44] ا: فقد.

[45] ا: فى التنزيهات.

[46] ا: - الموجود الموصوف بالصفات المتقدمة.

[47] ب : - عنه.

الحصر فيما ذكرتم لجواز أن يكون قسم آخر وهو كونه مباينا عنه[48] في الذات. والحقيقة لا في الجهة ولا نسلم شهادة البديهية لاختلاف العقلاء فيه والبديهيّ ليس كذلك والآيات الدالة على ذلك من المتشابهات ولا حظّ منها للراسخين في العلم إلا أن يقولوا "آمنا به كل من عند ربنا."[49] ولايجوز أن يتحد الحق تعالى بغيره لأنه لو اتّحد به فإما إن بقيا[50] موجودين فهما بعد إثنان والا لم يتحدا بل عُدِمَا ووجد ثالث او عدم أحدهما وبقى الآخر. ولا يجوز ان يحُلّ في غيره لأن المعقول منه قيام موجود بموجود على سبيل التَّبَعية ولا يعقل ذلك في الواجب. وحُكِيَ القول بهما عن النصاري وجمع من المتصوّفة. فإن أرادوا به ما ذكرناه ففساده ظاهر. وإن أرادوا غيره فلا بدّ من تصوّره أوّلا ليتأتى التصديقُ به اثباتا ونفيا. وأجمع العقلاء على أن ما كان تابعا للمزاج كالالوان والطعوم والروائح والالتذاذ باللذات الحسية لا يجوز على الله تعالى[51] والمعتزلة نزّهوه عن أن يكون[52] مرئيا وكذلك الفلاسفة والخوارج قالوا: في العقل دلالة استحالة رؤيته. لأنه لا بدّ لها من مقابلة بين الرائي والمرئي وثبوت مسافة مقدرة بينهما بحيث لا تكون بعدا بعيدا ولا قربا قريبا واتّصال شعاع عين الرائي بالمرئي. وكلّ ذلك على الله محال. والجواب: أنا قد اتفقنا على أن الله تعالى[53] يرانا وما ذكرتم من الشرائط غيرُ موجود هناك بالاتفاق والعلل والشرايط لا تتبدل بالشاهد والغائب وقد تبدلت فعلم أن الرئية من أوصاف الوجود دون القرائن اللازمة للرؤية وهذا. لأنّ الرؤية تَحَقُّق الشيئ بالبصر كما هو. فإن كان في جهة يرى فيها وإن كان لا في جهة يرى لا فيها ولنا أن كونه مرئيا لنفسه ولغيره صفة كمال وكلّ ما هو صفة كمال ثابت له فكونه مرئيا لنفسه ولغيره ثابت له.[54] أما المقدمة الثانية فظاهرة. وأما الاولى فلأن كونه مرئيا للمؤمنين إكرام

---

[48] ا: - عنه.
[49] سورة آل عمران، 7/3.
[50] ا: فان بقيا.
[51] ب: - تعالى.
[52] ا: عن كونه.
[53] ب: - تعالى.
[54] ب: - له.

لهم.[55] والإكرام صفة كمال إذا صادف المحلّ والمؤمن محلّ له فكونه مرئيا للمؤمنين. وفى دلالة قوله تعالى "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربّها ناظرة"[56] على ذلك لا يشكّ أحد إلا متعنّتا. وكذلك فى دلالة قوله عليه السلام "سترون ربّكم كما ترون ليلة البدر لا تضامّون فى رئيته".[57]

المقصد الثانى فى النبوات وما يتبعها

وفيه مباحث: **الاول** فى تعريف النبوة: وهى موهبة من الله على من اصطفاه بقوله 'بعثناك فبلّغ عنا.'

الثانى فى الاحتياج إلى النبيّ: الإنسان مدنيّ بالطبع لا يستقلّ بأمر معاشه لاحتياجه إلى غذاء ولباس ومسكن وسلاح كلّها صِناعيّة. والشخص الواحد لا يمكنه القيام باصلاحها وترتيبها بل يحتاج إلى مشاركة آخر[58] من أبناء جنسه بحيث يزرع هذا لذلك ويحبز ذلك لهذا يخيط واحد لآخر. والآخر يتخذ الآبرة له وعلى هذا قياس سائر الأمور. وتلك المشاركة إن كانت بقهر وغلبة اختلّ النظام المقدر إلى يوم القيامة فلا بدّ من وضع معتدل يحفظ النظام وهو الشرع. والشرع لا بدّ له من شارع ممتاز عن غيره باستحقاق الطاعة لينقاد الباقون له فى قبول شرعه. فلا يقع النّزاع المخلُّ للنظام المهروبُ منه. وذلك الاستحقاق إنما يتحقق بأن يختص بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة ليدلّ على أنه من عند ربهم. ولا بدّ له من العصمة وهى 'مَلَكَة نفسانية تمنع من الفجور مع القدرة عليها' أمّا عن الكفر فقبْل الوحى وبعده وأمّا عن المعاصى فبعده. وجوّزها قبله بعض نادرا.

الثالث فى إمكان المعجزات: المعجز 'أمر خارق للعادة من فعل او ترك مقرون بالتحدّى مع عدم المعارضة' وذلك كالإخبار عن المغيبات بصفاء جوهر نفسه الزكية وشِدة اتصاله بالمبادى العالية والإمساك عن القوت مدّةً غير معتادة لانجزاب النفس إلى عالم القدس واستتباعها القوى البدنية بحيث لم يتحلل من بدنه شيئ يحتاج إلى بدل

---

[55] ا: للمؤمنين.

[56] سورة القيامة 75/22-23.

[57] البخاري، ابو عبدالله محمد بن اسماعيل، **صحيح البخاري**، الكتب السنة وشروحها، دار سخنون، دار الدعوة، إستانبول 1413/1992، المناقب، 16،26، الأذان، 129.

[58] آخر : فى الهامش.

ويفعل ما لا يفي به قدرة غيره مثل أن يمنع الماء من جريانه ويفجره عن خلال اصابعه وبنانه بأن يسلطه الله على مادة الكائنات. فيتصرف فيها كما يتصرف في أجزاء بدنه هذا. والله تعالى قادر مختار على ما مرّ. فجاز أن يختصّ من شاء من عباده بالوحي والمعجزة وإرسال الملك اليه وإنزال الكتب عليه.

الرابع في نبوّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله: لأنه إدّعى النبوة وأظهر المعجزة وكلّ من كان كذلك كان نبيا. إما أنه إدّعى النبوة فقد ثبت بالتواتر وإما أنه اظهر المعجزة فلأنه ثبت بالتواتر أنه أتى بالقرآن وتحدّى به بلغاءَ العرب وفصحائهم وامتنعوا عن معارضته مع توفّر دواعيهم إلى ذلك فكان معجزا ولأنه أخبر عن المغيبات ووقع مطابقا ومثله معجز كما تقدم. ولأنه بلغ هذا المبلغ العظيم من الحكمة النظرية[59] كمعرفة الله وصفاته وأسمائه ومن الحكمة العملية كعلم الأخلاق وتدبير المنازل[60] وسياسة المدُن من غير تعلّم. وذلك من أجلّ الأمور الخارقة للعادة. ونقل عنه صلى الله عليه و سلم[61] معجزات كثيرة كانشقاق القمر وانجزاب الشجر وتسليم الحجر ونبوع الماء من بين أصابعه وغيرها مما يطول ذكره. والقدر المشترك بين الجميع متواتر أيضا وهو مبعوث إلى الخلق كافة وهو خاتم النبيين لأنه أخبر بذلك وهو صادق.

حكاية: اتفق لي سنة أربعين وسبع مائة اجتماع مع[62] حكيم مسيحي فسألني عن الدليل على كونه نبيا[63] خاتمَ الأنبياء فذكرت من النقل ما يدلّ على ذلك فطلب مني دليلا عقليا فلم يخضر لي في الوقت شيئ. فقال: النبوة حكمة والحكمة إما علمية او عملية او جامعة بينهما. وحكمة موسى عليه السلام كانت عملية لاشتمالها على تكاليفَ شاقةٍ واعمالٍ مُتعِبةٍ. وحكمة عيسى عليه السلام كانت علميةً لاشتمالها على التجرد والروحانيات والتصوف[64] المحض. وحكمة محمد صلى الله عليه و سلم جامعة بينهما. فالآتي بعده إن كانت حكمة عملية فهو

---

[59] النظرية: في الهامش.

[60] ا: المنازل.

[61] ا: - صلى الله عليه وسلم.

[62] ا: - مع.

[63] ا: كون نبينا.

[64] ب: التصور.

موسوىّ وإن كانت علمية فهو عيسوىّ وإن كانت جامعة بينهما فهو محمدىّ صلى الله عليه و سلم فقد انختمت عليه النبوة بالضرورة.

الخامس فى تفضيل الأنبياء على الملائكة: قال علمائنا:[65] خواصّ بنى آدم وهم المرسلون أفضل من جملة الملائكة وعوام بنى آدم من الأتقياء أفضل من عوام الملائكة وخواص الملائكة أفضل من عوام بنى آدم ودليل[66] ذلك مذكور فى المطوّلات.

السادس فى الكرامات: كرامات الأولياء حقّ والكرامة موهبة تفيض من الله البَرّ على الأبرار من عباده بغير اقتران التحدّى به. و هى على نوعين حسية ومعنوية. والعامّة لا تعرف إلا الحسية مثل الكلام على الخاطر والإخبار عن المغيبات الماضية والآتية والمشي على الماء وخرق الهواء وطيّ الأرض و إجابة الدعوة فى الحال وأمثال ذلك. وأما المعنوية فهى حفظ[67] آداب الشريعة[68] والتوفيقُ بمكارم الاخلاق والتَّجنُّبُ عن سَفْسَافِها والمحافظة على أداء الفرائض والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغِلّ للناس مِن صدره وطهارة القلب من كلّ صفة مزمومة وأمثال ذلك. وهذه كرامة تشارك الأبرارَ فيها الملائكة المقربون لا يدخلها مكر ولا استدراج وقد يسمّى استقامة[69] بخلاف الاوّل[70] فإنه[71] لدخول المكر الخفي فيها مدخلا ويتوجه اليها[72] إنكار المعتزلة قالوا: لو ظهر على يد غير الانبياء خرق[73] عادة لالتبس النبي بالمتنبي. قلنا: بل يتميز النبي بالتحدّى.

السابع فى الإمامة: هى خلافة شحص للرسول عليه السلام فى إقامة قوانين الشرع وحفظ حَوْزَة الملة على وجه يجب اتباعه على الأمّة كافةً ونصبه واجب. لأن البلد إذا شغر عن رئيس قاهر يأمر

---

[65] ا: + رحمهم الله.
[66] ا: دليله.
[67] ا: - حفظ.
[68] الشريعة: فى الهامش.
[69] ب: - وقد يسمّى استقامة.
[70] ا: الأولى.
[71] ا: فانّ.
[72] ا: إليه.
[73] ا: خارق.

بالطاعات وينهى عن المعاصي ويدرأ بأس الظلمة عن المستضعفين استحوز عليه الشيطان و فشى فيه الفسوق والعصيان وشاع الهرج والمرج. وفى ذلك ضرر ودفع الضرر بقدَر الإمكان واجب. ولهذا أجمعت الصحابة رضى الله عنهم على وجوب نصب الإمام ولكنهم اختلفوا في تعيينه ثم أجمعوا على خلافة الصديق رضى الله عنه[74] استدلالاً بأمر الصلاة ثم خلافة عمر بقوله صلى الله عليه و سلم[75] "اقتدوا بالذين من بعدى" ثم على عثمان ثم على عليّ رضى الله عنهم اجمعين ثم مضى على ذلك مَن أخلصه الله تعالى[76] عن البدع والضلال وشرطه ان يكون ذكَرا حرا بالغا عاقلا شُجَاعا قرشيّا. وليس من شرطه العِصْمَةُ ولا كونه هاشميا ولا كونه أفضل زمانه. والتقوى شرط الكمال. فيجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل. ولا ينعزل بالفسق.

الخاتمة فيما يتعلق بالمعاد

وفيه مباحث: **الاول** فى الحشر والجزاء: إعادة المعدوم جائزة خلافا للحكماء لنا. إنه لو امتنع وجوده بعد عدمه فإمّا أن يمتنع لذاته او لشيئ من لوازمه فيمتنع إبتداء ضرورة او لشيء من عوارضه فيمكن عند ارتفاعه بالنظر إلى ذاته. قالوا: إنه نفي محض فلا يحكم عليه بإمكان العود. والجواب: أنّ قولكم 'لا يحكم عليه' حكم عليه وهو منقوض بالحكم على ما لا يوجد وعلى الممتنع ونفس العدم.

الثانى فى حشر الأجساد: أجمع المسلمون على أن الله تعالى يحيي الأبدان بعد موتها وتفرّقِها لأنه ممكن عقلا والصادق أخبر به وكلّ ما كان كذلك كان حقا أمّا أنه ممكن فلأن أجزاء الميت قابلة للجمع والحياة وإلا لما اتصف[77] بهما أوّلاً. والله تعالى عالم بأجزاء كلّ شخص على التفصيل. وقادر على جمعها وإيجاد الحياة فيها لشمول قدرته الممكنات كلها كما مرّ.[78] وأمّا أنه أخبر الصادق به

---

[74] ا: - رضى الله عنه.

[75] ا: عليه السلام.

[76] ا: - تعالى.

[77] ا: اتصفت.

[78] ا: وقد مرّ.

فلأنـه جـاء فـى الكـلام المجيد مـن الآيـات الدالـّة علـى ذلـك مـا هـو فـى الظـهـور ممـّا لا يقبـل التأويـل كقولـه تعـالى "مـن يحيـى العظـام و هـى رميم[79] قل يحييها الذى أنشئها أوّل مرة و هو بكلّ خلق عليم".[80] وقولـه "فإذا هم من الأجداث إلـى ربّهم ينسلون"[81] وقولـه تعالى "فسيقولون من يعيدنا قل الله فطركم أوّل مرّة"[82] وقولـه تعالى "أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامـه بلـى قـادرين علـى أن نسوّى بنانـه"[83] وغير ذلك مما فيه كثيرة.

وأمّا الأنبياء الذين سبقوا علـى[84] نبينـا فالظـاهر مـن كـلام أممهـم أن موسـى عليـه السـلام لـم يـذكر المعـاد البـدنيّ ولا أنـزل عليـه فـى التوريـة ولكـن جـاء ذلـك فيمن جـائوا بعـده كحزقيلَ وشـعيب عليهمـا السلام ولذلك أقرّ[85] اليهود بـه. وأمّـا فـى الإنجيل فقد ذُكـر أن الأخيـار يـصيرون كالملائكـة ويكـون لـهـم الحيـاة الابديـة والـسعادة العظمـى. والأظهر أن المذكور فيه المعاد الروحاني ونبيّنا صلى الله عليه و سلم جامعٌ كما تقدم فأخبر بالمعاد الجسمانيّ والروحانيّ واعترض: بأنه لو أكل إنسان إنسانا آخر وصـار جزأ منه فالمأكول إما ان يعاد فـى الآكل او المـأكول منـه وايامّـا كـان فـلا يعـود احـدهما بتمامـه. وأجيـب: بـأن المُعاد من كلّ واحد اجزاؤه الاصلية التى هى الإنسان فإنها هى الباقيـة من أوّل عمـره إلـى آخـره الحاضـرة لنفسه لا الـهيكـل المتبدّلُ المغفولُ عنه فى أكثر الأحوال. والمأكولُ فضل فـى المغتذى[86] فلا يعاد فيه.

الثالـث فـى الجنـة والنـار: همـا موجـودان اليوم للإمكـان العقلـي وإخبار الصـادق به أما الإمكان فلأنـه لـو فـرض وجـود دار يثـاب فيهـا المحسن ودار يعاقب فيها المسيئ لم يلزم من ذلك محـال. والممكن مـا لا يلزم من فرض وقوعه محال. فـإن قيـل: المحـال لازم لأنهمـا إمـا أن

---

[79] ا : الآية. سورة يس، 78/36.

[80] سورة يس، 79/36. ا: - "قل يحييها الذى انشئها اول مرة وهو بكل خلق عليم".

[81] سورة يس، 51/36.

[82] سورة الإسرى، 51/17.

[83] سورة القيامة، 3/75.

[84] ا: - على.

[85] ا: اقرّت.

[86] ب: المغتدى.

يكونا في الأفلاك او في[87] العناصر او في عالم آخر وكل ذلك محال. أما الاول فلأن الأفلاك لا تنخرق وكونها في الأفلاك يقتضي خرقها لأن الأنهار والأشجار في الجنة والدركات في النار تُقتضي خرقها. وأمّا الثاني فلأن الحشر حينئذ يكون تناسخا. وأمّا الثالث فلأن هذا العالم كرى. لأن الفلك بسيط فشكله الكرّة فلو فرض عالم آخر كان كرّيا وحصل بينهما الخلاء الممتنع. أجيب: بأن ما ذكرتم مبني على عدم جواز الخرق على الأفلاك وعلى أن العالم كرّي وعلى أن الخلاء ممتنع. وكلّ ذلك ممنوع على أنه يجوز أن يكون الجنة في عالم الأفلاك ويكون في السماء السابعة عند سدرة المنتهى وتكون النار تحت الأرضين. وأمّا إخبار الصادق فقوله تعالى "وجنة عرضها السماوات والارض أعدّت للمتقين."[88] لا يقال: إنما يكون عرضها عَرْضَ السماوات والأرض إذا وقعت في أحيازهما وذلك بعد فنائهما لاستحالةِ تداخل الأجسام وهو محال لأنا نقول المراد به مثل عرضهما لقوله تعالى "كعرض السماء والأرض"[89] وقوله تعالى "فاتقوا النار التي أعدّت للكافرين"[90] أخبر عنهما بلفظ الإعداد في الماضي وغير الموجود لا يكون مُعَدًا. فإن قيل: يجوز أن يكون من قبيل قوله "إنّك ميت"[91] قلنا: مجاز والأصل في الكلام هو الحقيقة.

الرابع في الثواب والعقاب: ذهب علمائنا رحمهم الله[92] إلى أن الثواب على الطاعات فضل من الله تعالى والعقاب على المعاصي عدل منه. والعمل دليل وكلّ ميسر لما خلق له يخلّد المؤمن الموفّق لطاعته في الجنة وفاءً بوعده ويخلّد الكافر في النار تحقيقا لوعيده. والخلف في الوعد والوعيد لا يجوز على الله[93] في الصحيح وينقطع وعيد المؤمن العاصي لقوله تعالى "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره"[94] ولا يرى الا بعد الخلاص من العذاب. والفرق بين الكفر وما دونه في

---

[87] ا: + عالم.

[88] سورة آل عمران، 133/3.

[89] سورة الحديد، 21/57.

[90] سورة آل عمران، 133/3.

[91] سورة الزمر، 30/39.

[92] ا - رحمهم الله.

[93] ا- على الله.

[94] سورة الزلزال، 7/99.

جواز العفو عمّا دونه وعدم جوازه عنه ما ذكره علم الهدى أبو منصور فى 'التوحيد' أن الكفر مذهب والمذاهب[95] تعتقد للأبد فعلى ذلك عقوبته وسائر الكبائر لا يُفعَل الا فى اوقات غلبة الشهوة فعلى ذلك عقوبته.

الخامس فى العفو والشفاعة لاصحاب الكبائر: أما الاول فلقوله تعالى "وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات"[96] بالإطلاق وقوله "يعفو عن كثير"[97] وهو إنما يتحقق بترك العقاب للمستحق[98] وأما الثانى فلأن الله تعالى أمر النبى صلى الله عليه و سلم بالاستغفار لذنوب المؤمنين بقوله "واستغفِر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات."[99] وصاحب الكبيرة مؤمن بما معه من الإيمان فيستغفر له صيانة لعصمته عن ترك الامتثال ويقبل منه تحصيلا لمرضاته لقوله تعالى "ولسوف يعطيك ربّك فترضى."[100] ولقوله صلى الله عليه و سلم "شفاعتى لاهل الكباير من أمتى."[101]

السادس فى اثبات عذاب القبر: يدلّ عليه قوله تعالى فى آل فرعون "النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخِلوا آل فرعون أشدّ العذاب"[102] وفي قوم نوح "مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا"[103] والفاء للتعقيب وأنكره المعتزلة واحتجّوا بقوله تعالى "لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى"[104] وقوله تعالى "وما انت بمسمع من فى القبور."[105] وأجيب: عن الأول بأن معناه أن نعيم الجنة

---

95 ب: المذهب.

96 سورة الشورى، 25/42.

97 سورة الشورى، 30/42.

98 ا: المستحق.

99 سورة محمد، 19/49.

100 سورة الضحى، 5/93.

101 أبو داود، سليمان بن الاشعث، **سنن أبي داود**، الكتب السنة وشروحها، دار سخنون، دار الدعوة، إستانبول، 1413/1992، الأقضية، 14؛ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، **سنن الترمذي**، الكتب السنة وشروحها، دار سخنون، دار الدعوة، إستانبول، 1413/1992، القيام، 11.

102 سورة غافر، 46/40.

103 سورة نوح، 25/71.

104 سورة الدخان، 56/43.

105 سورة فاطر، 22/35.

لا ينقطع بالموت كما انقطع نعيم الدنيا به. لا وحدة الموت فإن الله تعالى أحيى كثيرا من الناس في زمن موسى وعيسى عليهما السلام وامَاتهم ثانيا. وعن الثانى بأنّ عدم إسماعه لا يلتزم عدم إدراك المدفون.

السابع فى ساير السمعيات من الصراط والميزان وتطاير الكتب[106] وأحوال الجنة والنار: والأصل فيها أنها أمور ممكنة لم يلزم من فرض وقوعها محال. وأخبر الصادق عنها فتكون[107] حقا.

واعلم أن الإيمان وهو تصديق الرسول[108] بالقلب فيما عُلم مجيئه به من عند ربّه فرض دائم لا يحتمل السقوط أبدا. فمن صدّقه فى ذلك فهو مؤمن فيما بينه وبين الله تعالى. والإقرار شرط إجراء أحكام الإسلام هو المرويّ عن أبى حنيفة رحمه الله[109] وإليه ذهب الشيخ أبو منصور الماتريدى وهو أصح الروايتين[110] عن الشيخ أبى الحسن الاشعري[111] وإليه ذهب[112] المحققون من أصحاب الشافعى وحُكى عن مالك[113] والشافعى[114] والأوزعى[115] وأهل الظاهر أن الإيمان 'هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان.' وعند المعتزلة هو[116] اسم لجميع الطاعات وهو لا يزيد ولا ينقص

---

106 ب: الكتب: فى الهامش.

107 ا: فيكون.

108 ب: - عليه السلام.

109 ب: - رحمه الله.

110 ا: - أبو منصور الماتريدى وهو أصح الروايتين. ب: الروايتين: فى الهامش.

111 الأشعري، إبن أبى بشر علي بن اسماعيل بن اسحاق بن سالم اليماني البصري. متكلم تنسب إليه الطائفة الأشعرية. وتوفى سنة 330 ه/948 م.إبن خلقان، 284/3-286؛ كحالة، 405/2.

112 ا: - اليه ذهب.

113 مالك بن أنس المدني، احد الائمة المذاهب. وتوفى سنة 179 ه/798 م بالمدينة. إبن خلقان، 135/4-139؛ كحالة، 9/3.

114 الشافعي، محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع القرشي الملطي. وهو أحد الائمة الأربعة عند أهل السنة. توفى سنة 204 ه / 819 م. ابن خلقان، 163/4-169؛ كحالة، 116/3.

115 الأوزعي، عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقى (أبو عمرو) إمام الديار الشامية فى الفقه والزهد. توفى سنة 157 ه/774 م. إبن خلقان، 127/3-128؛ كحالة، 105/1.

116 ا: - هو.

عندنا بانضمام الطاعات وارتكاب المعاصى.[117] وإيماننا كإيمان الملائكة والرسل[118] عليهم السلام. وقال جماعة من أهل العلم: أنه يزيد بانضمام الطاعات وينقص بارتكاب المعاصى واستدلوا بقوله تعالى "ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم"[119] وبقوله "فزادتهم إيمانا"[120] وغير ذلك فهو محمول على ثمراته وإشراق نوره قال الله تعالى: "أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربّه."[121] وهذا آخر ما أردنا إيرادَهُ فى هذا المختصر بعون الله وحسن توفيقه.[122] والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

---

[117] المعاصى: فى الهامش.

[118] ا: كإيمان الرسل والملائكة.

[119] سورة الفتح، 4/48.

[120] سورة التوبة، 124/9.

[121] سورة الزمر، 22/39.

[122] ا: - وهذا آخر ما أردنا إيرادَهُ فى هذا المختصر بعون الله وحسن توفيقه.